

الأخلاق في فكر مسكويه: أصولها ومبانيها الفلسفية (والتوازن بين الرغبات والعقل نموذجاً)

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٢٥/١٠/٨

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٥/١٠/١٩

أ.م.د. علي جميل عبد الموسوي (*)

أفكار أفلاطون وأرسطو، إذ تبني مفهوم (الخير الأسمى) من أفلاطون و(الفضيلة الوسطى) من أرسطو. ورغم تأثره بهذه الفلسفات، قام بتكييف هذه المفاهيم لتناسب مع السياق الثقافي والديني الإسلامي، مؤكداً على دور العقل في الوصول إلى الفضيلة وتحقيق التوازن الداخلي. وفي ما يخص التربية، رأى أن الإنسان يحتاج إلى تدريب مستمر على تهذيب النفس وضبط الرغبات، مما يساعد في اتخاذ قرارات أخلاقية سليمة.

علاوة على ذلك، تناول مسكويه العلاقة بين الحرية والمسؤولية، حيث اعتقد أن الحرية الفردية يجب أن تكون مصحوبة بمسؤولية أخلاقية تجاه النفس والمجتمع. وهكذا، كانت فلسفته تدعو إلى تربية العقل والنفس من أجل تحقيق الفضيلة والعيش بشكل متناغم مع القيم الأخلاقية. في

الملخص

تعدّ فلسفة مسكويه الأخلاقية من أبرز المساهمات في الفكر الفلسفي الإسلامي، حيث قدّم تفسيراً عقلياً للأخلاق يعتمد على التوازن بين العقل والرغبات والروح والجسد. في فلسفته، يعتبر العقل هو العنصر الأساس الذي يوجّه السلوك البشري ويضبط الرغبات، مؤكداً أن الفضيلة لا تتحقق إلا من خلال هذا التوازن. اهتمّ مسكويه بالسعي نحو الفضيلة والسعادة، موضحاً أن الإنسان لا يمكن أن يحقق السعادة الحقيقية إلا إذا تمّ ضبط الرغبات وتطهير الروح من الأهواء. كما اعتقد أن الفضيلة ليست مجرد سلوكيات نظرية بل هي سلوك يومي يتطلّب تربية مستمرة للإنسان نفسه وتوجيه عقله نحو الخير.

لقد تأثر مسكويه بالفلسفات اليونانية، وخاصة

العقل الراجح لكي لا تصبح عائقاً أمام تحقيق هذه السعادة.

لقد تأثر مسكويه بشكل كبير بالفلسفة اليونانية، لا سيما أفكار الفلاسفة مثل أفلاطون وأرسطو. من أفلاطون استلهم مفهوم (الخير الأسمى) الذي يُعتبر هدفاً نهائياً يسعى الإنسان إلى تحقيقه، وهو يتناغم مع مفهوم الفضيلة في الفلسفة الإسلامية. أما من أرسطو فقد اقتبس فكرة (الفضيلة الوسطى)، حيث ربط الفضيلة بالاعتدال والتوازن بين الإفراط والتفريط في السلوك البشري. هذه المفاهيم تأثرت بالبيئة الفكرية التي عاش فيها مسكويه، لكنّها أيضاً تأثرت بنظرة الإسلام إلى الأخلاق والسلوك السليم. في إطار هذا التأثير، تبنى مسكويه مفهوماً متطوراً للأخلاق، يُعنى بتنقية النفس البشرية وتوجيهها نحو الفضيلة. كما أنّ فلسفته تنطلق من أساسيات تربوية تهدف إلى إحداث تحول في الفرد من خلال ممارسات عملية تهدف إلى تهذيب النفس وضبط الرغبات. وعليه، فإنّ الإنسان وفقاً لفلسفته هو كائن مسؤول عن سلوكه، ويجب عليه توجيه عقله نحو الخير وتحقيق السعادة من خلال اتباع الفضيلة. علاوة على ذلك، قدّم مسكويه فكراً يتّسم بالواقعية في معالجة النفس البشرية، حيث اعتبر أنّ تربية النفس لا تتمّ بشكل فوريّ، بل من خلال جهد مستمرّ يتطلب صبراً ومثابرة. لذا، كان لديه مفهوم خاصّ للتربية الأخلاقية التي تقوم على تهذيب النفس وتنقية الروح من الشهوات

مجمّلها، شكّلت فلسفة مسكويه حجر الزاوية في تطور الفلسفة الأخلاقية الإسلامية، حيث دمج بين العقل والروح والجسد لتحقيق الفضيلة والسعادة الحقيقية.

الكلمات المفتاحية: فلسفة مسكويه - الأخلاق الإسلامية - الفضيلة - العقل والرغبات - توازن النفس - السعادة الحقيقية - التأثير الفلسفي اليوناني - ضبط النفس

مقدّمة

تُعدّ الفلسفة الأخلاقية التي قدّمها مسكويه من أبرز المحطات الفكرية التي أثّرت في الفلسفة الإسلامية، خاصةً في مجال الأخلاق وعلاقتها بالعقل والجسد والروح. تتّسم فلسفته بالتوازن بين هذه الأبعاد الثلاثة، حيث اعتقد أنّ السعي نحو الفضيلة والسعادة لا يمكن أن يتحقّق إلاّ من خلال التناغم بينها. بالنسبة له، كانت الأخلاق أمراً قائماً على العقل أكثر من كونه مجرد عواطف أو شعور داخلي، إذ إنّ العقل هو الذي يمكنه توجيه الرغبات والتحكّم في الأهواء لتحقيق السلوك الفاضل. كان مسكويه مهووساً بمسألة السعادة باعتبارها الهدف النهائي الذي يسعى إليه الإنسان، فبالنسبة له، لا تكتمل حياة الإنسان إلاّ إذا تمّ تهذيب النفس من خلال ضبط الرغبات وتنقية الروح. كان يؤمن أنّ السعادة الحقيقية تتولّد فقط من العيش بما يتوافق مع العقل والفضيلة، حيث إنّ الأهواء لا بدّ أن يتمّ توجيهها بواسطة

يستعرض هذا المبحث الأسس الفلسفية التي قام عليها فكر مسكويه الأخلاقي، مع التركيز على دور العقل في بناء الأخلاق وتحقيق الفضيلة، وأثر الفلسفة الأفلاطونية والأرسطية في تشكيل مبادئه.

المبحث الثاني: مباني الأخلاق الفلسفية عند مسكويه

يتناول هذا المبحث مفهومَي الفضيلة والسعادة في فكر مسكويه، بالإضافة إلى طرق الوصول إلى الفضيلة، وأثر التربية والتهديب النفسي في ضبط الأهواء وتحقيق الحرية والمسؤولية.

المبحث الثالث: التوازن بين الرغبات والعقل في فلسفة مسكويه

يتطرق هذا المبحث إلى العلاقة بين العقل والرغبات، مع التركيز على مفهوم (ضبط النفس) وكيفية اتخاذ قرارات أخلاقية سليمة من خلال التوازن بين العقل والانفعالات.

يهدف هذا البحث إلى تحليل أفكار مسكويه الأخلاقية بشكل شامل من خلال هذه المباحث، مع إبراز تأثيره الكبير على الفلسفة الإسلامية والأخلاق الإنسانية بشكل عام.

والرغبات غير المنضبطة. وبذلك، كانت فلسفته تتمحور حول فكرة أنّ الإنسان ينبغي أن يسعى لتطهير نفسه من الرذائل وتوجيه عقله للفضائل من أجل بلوغ السعادة الحقيقية.

عند مسكويه، لا تكمن الفضيلة فقط في معايير مجردة أو نظرية بل في سلوك فردي يمارسه الإنسان في حياته اليومية. وبذلك تتجاوز فلسفته حدود النظرية لتصل إلى التطبيق الفعلي، حيث يسعى الإنسان إلى تحقيق فضيلته في كل جانب من جوانب حياته بدءاً من التعامل مع الآخرين وصولاً إلى كيفية تعامل الفرد مع نفسه. وبالتالي، كانت فلسفته بمثابة دعوة عملية إلى تهذيب النفس، والاعتراف بمسؤولية الفرد تجاه نفسه وتجاه المجتمع. تمثل فلسفة مسكويه حجر الزاوية في الفهم الإسلامي للأخلاق، حيث دمج بين الفلسفات القديمة والتوجهات الإسلامية ليقدم تصوّراً جديداً. هذا التصوّر لا يقتصر فقط على تنظير المبادئ الأخلاقية، بل يحنّ على السعي الفعلي لتحقيق الفضيلة من خلال تربية النفس والعقل، وهو ما جعل فلسفته أحد الأسس المهمة التي اعتمد عليها الفلاسفة المسلمون فيما بعد في تطور الفلسفة الأخلاقية الإسلامية.

يتضمن هذا البحث ثلاثة مباحث رئيسية لدراسة أخلاق مسكويه:

المبحث الأول: أصول الأخلاق في فكر مسكويه

الاستقامة في السلوك والاعتدال في تصرفات
الإنسان»^(١).

أعتقد أن فلسفة مسكويه ترى أن العقل ليس فقط أداة لفهم العالم، بل هو أيضاً مصدر للوعي الأخلاقي الذي يوجه السلوك البشري. من خلال العقل، يمكن للإنسان أن يدرك العواقب الأخلاقية لأفعاله، ويختار ما هو صحيح أو خاطئ. وفيما يتعلق بالفضيلة والسعادة، يرى مسكويه أن السعادة الحقيقية لا تأتي من المتع اللحظية، بل من التوازن الداخلي الذي يتحقق من خلال الفضيلة. هذا التوازن في الحياة يعكس فكرة مسكويه بأن الفضيلة هي السبيل لتحقيق سعادة دائمة. كما أن فكرة الاعتدال التي يركز عليها مسكويه تتناسب مع التحديات المعاصرة التي نواجهها اليوم، حيث يمكن تطبيق هذه الفكرة في معالجة قضايا مثل الإفراط في الاستهلاك أو الضغوط الاجتماعية، مما يساعد في تعزيز سلوك متوازن يحقق صحة نفسية وراحة.

تأثير الفلسفات السابقة:

لقد تأثر مسكويه بالفلسفات اليونانية القديمة، خاصة الفلسفة الأفلاطونية والأرسطية، ولكنه في ذات الوقت كان يكيّف هذه الفلسفات بما يتناسب مع السياق الثقافي والديني الإسلامي. من ناحية، نجد أن مسكويه استلهم من أفلاطون مفهوم (الخير الأسمى)، الذي يؤكد أن السعادة الحقيقية تتحقق عندما يسعى الفرد إلى تحقيق خير أسمى

المبحث الأول: أصول الأخلاق في فكر مسكويه

الأساس الفلسفي للأخلاق:

تُعتبر الفلسفة الأخلاقية للمفكر الفارسي مسكويه واحدة من أعمق المساهمات التي قدّمت تفسيراً عقلانياً للأخلاق في الفكر الإسلامي. حيث اعتمد مسكويه في بناء نظريته الأخلاقية على أسس فلسفية تمحورت حول العقل باعتباره العنصر الأساس في تحديد السلوك الفاضل والفضيلة. ويعتقد مسكويه أن الأخلاق هي ممارسات واعية تنبع من عقل مدرك للخير، وتُعنى بتحقيق الفضيلة والسعادة من خلال التوازن بين مختلف جوانب الحياة الإنسانية^(١). ففي رأيه، العقل هو المحرك الأساس للسلوك البشري، وهو الذي يحدّد ما هو صحيح وما هو خطأ في سلوك الإنسان، وهو القادر على توجيه الرغبات وتهذيب النفس.

تبني مسكويه العديد من المبادئ الفلسفية التي ساعدت في بناء نظريته الأخلاقية. على سبيل المثال، نراه يؤكد على أهمية العقل في فهم الأخلاق وترشيد الرغبات البشرية. في هذا السياق، يمكن تصنيف المبادئ الفلسفية التي اعتمد عليها مسكويه إلى عدّة عناصر أساس، مثل تصوّره للفضيلة والسعادة باعتبارهما هدفين رئيسيين للإنسان، وتأكيده على دور العقل في الوصول إليهما.

قول شهير لابن مسكويه: «الفضيلة هي

الأسمى، حيث يقول: «السعادة ليست في اللذة الحسية، ولا في المال، ولا في الجاه، وإنما هي في الحكمة والفضيلة، وهما الخير الأقصى للإنسان»^(٥). ومن أرسطو، أخذ مفهوم الفضيلة الوسطى، يقول: «الفضيلة هي حالة وسط بين طرفين مذمومين: فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والعفة وسط بين الخلاعة والجمود»^(٦).

الفضيلة والعقل:

في فلسفة مسكويه، يشكل العقل العنصر الأساس في تحديد الأخلاق الفاضلة وترشيد الرغبات. فهو يرى أن الفضيلة لا تتحقق إلا من خلال التطبيق الصحيح للعقل الذي يساعد الإنسان على تنظيم رغباته وتوجيهها نحو الفضيلة. إذ إن العقل في نظره ليس مجرد أداة للتفكير والتحليل، بل هو الذي يحدد إذا كانت هذه الرغبات منسجمة مع الفضيلة أم لا. في هذا السياق، يعتبر مسكويه أن الفضيلة هي غاية الإنسان، وهي متوافقة مع مفاهيم الخير والسعادة التي يرى أنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعقل.

ويبرز مسكويه فكرة (الخير الأسمى) الذي يشير إلى السعادة التامة والكمال الأخلاقي، حيث يُعدّ الوصول إلى هذا الخير هو الهدف النهائي الذي يسعى إليه الإنسان من خلال تحقيق التوازن بين الروح والجسد والعقل^(٧). تتوافق هذه الفكرة مع المفهوم الإسلامي للفضيلة الذي يراه مسكويه منسجماً مع رؤية الإنسان الكامل الذي يحقق

يتجاوز المنفعة الذاتية المؤقتة^(٨). من ناحية أخرى، تأثر بمفهوم (الفضيلة الوسطى) لدى أرسطو، حيث يرى أن الفضيلة تتجسد في التوازن بين المبالغة والتقصير. وفي هذا السياق، يمكن القول إن مسكويه قد دمج بين تأثيرات هذه الفلسفات ليؤكد على أن الفضيلة هي النتيجة الحتمية للتناغم بين العقل والجسد والروح، وهو ما يتماشى مع المنظومة الفكرية الإسلامية التي ترى أن الإنسان لا يمكن أن يكون فاضلاً إلا إذا كان عقله هو الذي يوجّه أفعاله ورغباته^(٩).

نرى أن تأثير الفلسفات اليونانية القديمة، لا سيما أفلاطون وأرسطو، على مسكويه يظهر بشكل واضح في تطور نظره للأخلاق والفضيلة. ومع ذلك، يتميز مسكويه بقدرته على تكيف هذه الفلسفات لتناسب السياق الثقافي والديني الإسلامي، مما يعكس عمق فهمه وتحليله للفلسفة. عبر دمج هذه الأفكار، نجد أن مسكويه يقدم نموذجاً متوازناً يجمع بين الفكر العقلاني والحاجة الروحية، وهو ما يتماشى مع الفلسفة الإسلامية التي تؤكد على العقل كأداة رئيسية في توجيه الإنسان نحو الفضيلة.

تأثر مسكويه بالفلسفات اليونانية القديمة، خاصة الفلسفة الأفلاطونية والأرسطية، لكنه لم ينقلها كما هي، بل أعاد تكيفها لتنسجم مع المنظومة الثقافية والدينية الإسلامية.

من أفلاطون، استلهم مسكويه فكرة الخير

الذي يعبر عن السعادة التامة والكمال الأخلاقي، وهو الهدف النهائي الذي يسعى الإنسان لتحقيقه من خلال التوازن بين الروح والجسد والعقل. في هذا الإطار، يتناغم مفهوم مسكويه مع الفهم الإسلامي للفضيلة، الذي يراه متسقاً مع رؤية الإنسان الكامل الذي يحقق توازناً داخلياً بين جوانب وجوده المختلفة. بالنسبة له، العقل ليس مجرد أداة تفكير، بل هو مركز حياة الإنسان، المسؤول عن تنظيم رغباته وتحقيق التوازن المطلوب للوصول إلى الفضيلة.

علاقة الأخلاق بالروح والعقل والجسد:

تعتبر فلسفة مسكويه الأخلاقية واحدة من الفلسفات التي ترى أنّ الأخلاق لا يمكن فهمها بشكل صحيح إلا من خلال النظر إلى العلاقة بين الروح والعقل والجسد. في نظره، الأخلاق ليست مجرد أفعال سلوكية وإنما هي عملية متكاملة تهدف إلى تطهير الروح وتنقية النفس من الرغبات السلبية والشريرة. ويعتقد مسكويه أنّ هذه العملية لا يمكن أن تتم بشكل صحيح إلا إذا قام الإنسان بتوجيه عقله نحو الفضيلة، واهتمّ بتحقيق التوازن بين جسده وروحه. ففي فلسفته، يشير مسكويه إلى أنّ الأخلاق الحقيقية تتحقق عندما تكون الروح متصالحة مع العقل والجسد. ولذلك، يرى أنّ تطهير الروح هو الأساس لتحقيق الأخلاق الحميدة. في هذا السياق، يشدد على أنّ الإنسان لا يمكن أن يحقق الفضيلة إلا إذا كان في حالة نفسية وعقلية متوازنة. فالعقل هو الذي ينبغي أن

توازناً داخلياً بين مختلف جوانب وجوده. فالعقل، وفقاً له، ليس أداة معزولة بل هو مركز ينظم حياة الإنسان ويحسن توجيهه ورغباته في سبيل الوصول إلى الفضيلة. يقول مسكويه في كتابه تأديب النفس: «العقل هو الذي يوجّه النفس إلى الخير ويمنعها من الشر، ولا يكون الإنسان فاضلاً إلا إذا استعمل عقله في تهذيب رغباته»^(٨).

وأرى أنّ فلسفة مسكويه تقدّم رؤية عميقة حول العلاقة بين العقل والفضيلة، حيث يرى أنّ العقل ليس مجرد أداة للتفكير، بل هو الأساس الذي ينظم ويقود الإنسان نحو الفضيلة. من خلال هذه الرؤية، يمكننا فهم الأخلاق ليس فقط من خلال المبادئ النظرية، بل من خلال التطبيق العملي للعقل في توجيه الرغبات والقرارات اليومية.

في فلسفة مسكويه، يعدّ العقل الركيزة الأساس في تحديد ما هو أخلاقي وفاضل. فهو يرى أنّ الفضيلة لا تتحقق إلا من خلال التطبيق السليم للعقل، الذي يساعد الإنسان على ضبط وتنظيم رغباته، وتوجيهها نحو السلوك الفاضل. في رأي مسكويه، العقل لا يقتصر على كونه أداة للتفكير والتقييم، بل هو الذي يقرر ما إذا كانت الرغبات متوافقة مع الفضيلة أو لا. بذلك، يصبح العقل المسؤول الأول عن تمحيص وتنقية النفس البشرية من الرغبات الضارة أو المضللة.

يقدم مسكويه أيضاً فكرة (الخير الأسمى)

المبحث الثاني: مباني الأخلاق الفلسفية عند مسكويه

الأخلاق والفضيلة في الفكر المسكوي:

في فكر مسكويه، تُعتبر الفضيلة من أهم مقومات السلوك الأخلاقي الذي يسعى الإنسان لتحقيقه. يختلف مفهوم الفضيلة عند مسكويه عن المفاهيم الأخرى في الفلسفات المختلفة، حيث يتبنى تعريفاً عقلياً يعتمد على التحكم في الرغبات وتوجيهها نحو الخير. وفقاً لمسكويه، الفضيلة ليست مجرد ممارسة سلوكيات معينة، بل هي حالة نفسية وعقلية يتسم بها الإنسان الذي استطاع أن يحقق التوازن بين عقله وأهوائه^(١١). ويعني ذلك أن الفضيلة عند مسكويه ترتبط بشكل أساسي بالقدرة على اتخاذ القرارات الأخلاقية الصحيحة وفقاً للعقل، وليس عن طريق الانفعالات أو العواطف^(١٢).

يؤكد مسكويه على أن الفضيلة تكمن في اعتدال النفس، وتوجيه العقل نحو الأفعال التي تحقق الخير. وهذا يعني أن الفضيلة ليست ثابتة، بل هي سلوك يمكن للإنسان أن يتعلمه ويكتسبه من خلال الممارسة المستمرة للسيطرة على الأهواء والميول السلبية. بالمقارنة مع الفلسفات الأخرى، مثل الفلسفة الأفلاطونية أو الأرسطية، يُبرز مسكويه فكرة توازن الرغبات كعنصر أساسي في الفضيلة، بينما تركز الفلسفات الأخرى على الفكرة المجردة للخير^(١٣).

يوجه الجسد والروح إلى التناغم والتوازن. أيضاً، يرى مسكويه أن الصحة الجسدية مهمة لتحقيق هذا التوازن، لأن الجسم السليم يعين العقل على التفكير السليم، كما أن الروح السليمة هي التي تجعل الإنسان قادراً على اتخاذ قرارات أخلاقية سليمة^(٩). ويقول في كتابه (تأديب النفس): «إن الإنسان لا يكون فاضلاً إلا إذا عاش العقل والجسد والروح في توافق، إذ العقل يوجه، والروح تتحمل، والجسد يعين على السلوك الصحيح»^(١٠). يمكن أن نقول إن فلسفة مسكويه حول العلاقة بين الأخلاق والروح والعقل والجسد تقدم فهماً متكاملًا للأخلاق في إطار متوازن يعكس الترابط بين الجوانب المادية والروحية للإنسان. من خلال دمج هذه العناصر، يعزز مسكويه من أهمية التوازن الداخلي، ويظهر كيف أن تحقيق الفضيلة لا يتم إلا من خلال تفاعل وتناغم العقل مع الجسد والروح.

مسكويه إلى أن الفرد يحتاج إلى تدريب نفسي مستمر للوصول إلى الفضيلة. هذه العملية تشمل ضبط النفس والتحكم في الرغبات والشهوات من خلال التوجيه العقلي^(١٧). من خلال هذا التوازن بين العقل والرغبات، يستطيع الفرد أن يتجاوز الإغراءات الدنيوية ويحقق سلوكاً فضلاً.

دور التربية في فلسفة مسكويه هو أمر أساس لبناء الأخلاق، فالتربية لا تقتصر على تعليم الفرد فقط المعرفة النظرية، بل تتضمن أيضاً تهذيب النفس وتنمية القدرة على السيطرة على الأهواء. التربية العقلية، وفقاً لمسكويه، هي التي تسهم في ضبط الأهواء من خلال تعليم الإنسان كيفية التفكير السليم واتخاذ القرارات الأخلاقية الصحيحة^(١٨). في هذه العملية، يُعتبر العقل هو الأداة الرئيسية التي تقوم بتوجيه الرغبات وتعديل السلوكيات. لهذا السبب، تركز فلسفة مسكويه على تربية العقل وتنميته، بحيث يصبح الأداة الأساسية التي يُمكن من خلالها التحكم في الأهواء والرغبات. يقول ابن مسكويه: «العقل هو الذي يوجه النفس ويوازن بين رغباتها، ومن لم يهذب عقله ضلّت نفسه عن طريق الفضيلة»^(١٩).

أرى أن فلسفة مسكويه تضع التربية والعقل في مركز بناء الفضيلة، مما يعكس فهماً عميقاً للتفاعل بين الفطرة البشرية والتنمية العقلية. من خلال التأكيد على أهمية التوجيه العقلي والتحكم في الرغبات، يقدم مسكويه منهجاً عملياً لتحصيل الفضيلة يعتمد على الجهد المستمر والوعي الذاتي.

أما عن مفهوم (السعادة) في الفكر المسكوي، فهي تُعتبر الهدف النهائي الذي يسعى الإنسان لتحقيقه من خلال الفضيلة. السعادة هنا ليست مجرد لذة أو راحة مؤقتة، بل هي سعادة عقلية وروحية تأتي من تحقيق التوازن الكامل بين العقل والجسد والروح^(٢٠). يعتبر مسكويه أن السعادة هي المعيار النهائي الذي يتم من خلاله تقييم ما إذا كان سلوك الفرد أخلاقياً أم لا. إذ لا يمكن للإنسان أن يحقق سعادة حقيقية إلا إذا كان يعيش وفقاً للفضيلة، أي باتباع عقلانية معتدلة في تحكمه في رغباته^(٢١).

ويقول مسكويه إن: «السعادة الحقيقية تنشأ من الانسجام بين العقل والروح والجسد، ولا يمكن بلوغها إلا باتباع الفضيلة والتحكم في الرغبات»^(٢٢).

يقدم فكر مسكويه مقارنة متكاملة لفهم الأخلاق والفضيلة، حيث يعزّز من أهمية العقل والتوازن الداخلي في تشكيل السلوك الأخلاقي. تتماشى هذه الفكرة مع القيم الإسلامية التي تركز على الضبط الذاتي والتوجيه العقلاني للسلوك، وتعتبر الفضيلة عملية مستمرة يمكن تعلّمها واكتسابها من خلال الالتزام والانضباط.

الطريق إلى الفضيلة:

في فلسفة مسكويه، لا تأتي الفضيلة بالصدفة أو بشكل تلقائي، بل تتطلب مسعى مستمراً لتحقيق التوازن بين العقل والرغبات. يشير

الحرية والمسؤولية:

في أفعاله، ولكن الحرية الحقيقية لا تتحقق إلا إذا قيدها العقل بالفضيلة، فمن لم يوجه عقله بالفضيلة لا يعرف طريق السعادة»^(٢٣).

المبحث الثالث: التوازن بين الرغبات والعقل في فلسفة مسكويه

التصور العام للتوازن:

في فلسفة مسكويه، يُعتبر التوازن بين العقل والرغبات من المبادئ الأساسية لتحقيق الفضيلة. يعتقد مسكويه أن العقل هو الأداة التي يجب أن تسيطر على الرغبات، إذ إن التفوق العقلي يضمن أن يكون الإنسان قادراً على اتخاذ قرارات حكيمة ومتوازنة. التوازن بين العقل والرغبات لا يعني كبح الرغبات بشكل كامل، بل هو تنظيم دقيق يقوم به العقل بحيث يبقى الإنسان متحكماً في ميوله وأهوائه في سبيل تحقيق الفضيلة^(٢٤). ويربط مسكويه التوازن بين العقل والرغبات بمفهوم الفضيلة الذي يتحقق عندما ينجح الإنسان في ضبط ميوله بحيث تتوافق مع العقل، فتتحقق بذلك حياة متوازنة تسعج مع الخير الأسمى الذي يشير إليه كغاية عليا للسعي الأخلاقي. لذلك، يعتبر العقل هو الآلية الأساس التي يجب من خلالها توجيه الرغبات نحو أهداف أخلاقية نبيلة، وهي عملية ضرورية للوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تتحقق إلا من خلال تحقيق الفضيلة^(٢٥).

أما في ما يخص الانفعالات والعواطف،

الحرية والمسؤولية في فكر مسكويه تتشابك بشكل كبير. يعتبر مسكويه أن الإنسان حرّ في اختيار أفعاله، ولكن هذه الحرية تأتي مع مسؤولية أخلاقية تجاه نفسه وتجاه المجتمع. فالأخلاق عند مسكويه لا تتجسد في القيام بما يرضي الإنسان فقط، بل في الاختيارات التي تتوافق مع العقل والفضيلة. من هذا المنطلق، تعتبر الحرية في فلسفة مسكويه مسؤولية تجاه نفسه وتجاه المجتمع، حيث يجب على الفرد أن يكون مسؤولاً عن خياراته وأن يتحمّل عواقب أفعاله^(٢٥).

مسكويه يرى أن الفرد يحقق أخلاقه الفاضلة من خلال اختياراته الحرة التي تتماشى مع المبادئ العقلانية والفضيلة. إن الحرية في فلسفته لا تعني التحرر المطلق، بل هي حرية مقيدة بالمسؤولية الأخلاقية التي تفرض على الفرد أن يوازن بين رغباته الشخصية ومصالحه الآخرين^(٢٦). هذه المسؤولية تجعل الإنسان يقيم سلوكياته بناءً على مبادئ عقلية وأخلاقية تضمن له تحقيق الفضيلة والسعادة الحقيقية.

في هذا السياق، يعتبر مسكويه أن الفرد إذا اختار أفعاله بناءً على العقل، فإنه سيكون قادراً على اتخاذ قرارات أخلاقية سليمة وتحقيق الفضيلة. إذاً، تكون المسؤولية الأخلاقية جزءاً لا يتجزأ من الحرية التي يمتلكها الإنسان، مما يجعل الفرد مدركاً لما يترتب على أفعاله من نتائج في حياته الشخصية والاجتماعية^(٢٦). يقول مسكويه: «الإنسان حرّ

متكاملة تتضمن تعزيز القدرة على التفكير العقلاني أمام المؤثرات العاطفية أو الجسدية. ويرى أن ضبط النفس يتطلب تدريجياً مستمراً، حيث إن الإنسان لا يولد ضابطاً للنفس، بل يحتاج إلى تربية ذهنية وأخلاقية تمكنه من كبح جماح رغباته والتمسك بالقيم الفضيلة^(٢٨).

من وجهة نظر مسكويه، النفس البشرية هي عرضة للأهواء والرغبات، وهذا يتطلب من الفرد أن يكون واعياً بشكل دائم لطبيعة هذه الرغبات وكيفية التحكم فيها. وهو يؤكد على أن الإنسان يجب أن يسعى دائماً لتهديب نفسه، مما يعني ضرورة الانتباه المستمر إلى كيفية تأثير هذه الرغبات على سلوكياته وقراراته. هذه العملية تتطلب الانضباط العقلي والذهني الذي يُمكن الفرد من توجيه نفسه نحو الفضيلة دون أن يتأثر بالأهواء السلبية^(٢٩).

يمكن القول إن فلسفة مسكويه حول ضبط النفس والتحكم في الأهواء تقدم فهماً عميقاً لكيفية تكامل العقل والأخلاق في بناء شخصية فاضلة. من خلال التأكيد على تدريب النفس، يشير مسكويه إلى أهمية التربية الذاتية المستمرة لضبط الرغبات، مما يجعل الفضيلة عملية تطويرية تحتاج إلى جهد دائم.

فيرى مسكويه أن لها تأثيراً مباشراً على القرارات الأخلاقية. الانفعالات مثل الغضب، أو الخوف، أو الشهوة، إذا لم يتم ضبطها بواسطة العقل، فإنها قد تدفع الفرد إلى اتخاذ قرارات غير أخلاقية أو اندفاعية. لذلك، يؤكد مسكويه على ضرورة أن يُحسن العقل توجيه هذه الانفعالات بحيث لا تتحكم في سلوك الفرد بل تساعده في اتخاذ قرارات قائمة على الحكمة والفهم السليم. في هذا الإطار، يكون العقل هو الأداة التي تضمن عدم انحراف القرارات عن المسار الأخلاقي السليم^(٣٠).

رأى هو أن مسكويه يقدم تصوراً عقلياً متوازناً للفضيلة، حيث يربط بين العقل والرغبات في عملية تنظم السلوك البشري، بشكل يعكس المسؤولية الشخصية تجاه الفضيلة. يركز مسكويه على أن العقل هو الأداة التي يجب أن تتحكم في الرغبات لتحقيق التوازن الداخلي، وهو ما يجعل تصوّره للأخلاق عملياً وقابلاً للتطبيق في الحياة اليومية.

يقول مسكويه: «العقل هو الذي يميّز بين الخير والشرّ، ومن لم يربّ عقله على الفضيلة ضلّ عن طريق السعادة الحقيقية»^(٣١).

ضبط النفس والتحكم في الأهواء:

من المفاهيم المركزية في فلسفة مسكويه هو مفهوم (ضبط النفس)، الذي يعتبره المفتاح الأساس لتحقيق الحياة الفاضلة. بالنسبة له، ضبط النفس ليس مجرد كبح للرغبات بل هو عملية

العملية الأخلاقية في اتخاذ القرار:

تعتبر عملية اتخاذ القرار الأخلاقي في فلسفة مسكويه مركزية في تفسير كيف يُمكن للإنسان أن يحقق الفضيلة في حياته اليومية. في رأيه، اتخاذ القرار الأخلاقي السليم يتطلب تعزيز العقل على الأهواء، مما يعني أن الإنسان يجب أن يكون قادراً على التغلب على الرغبات المؤقتة التي قد تدفعه نحو مسارات غير أخلاقية. في هذا السياق، يشير مسكويه إلى أن العقل لا يقتصر على اتخاذ قرارات سليمة فحسب، بل هو العامل الذي يوجه الإنسان إلى ما هو خير، حتى وإن كانت الرغبات النفسية تدعوه للانحراف^(٣٠).

على سبيل المثال، عندما يواجه الفرد قراراً يتعلق بموقف أخلاقي، مثل اتخاذ قرار في مسألة قد تضرّ بالآخرين من أجل تحقيق منفعة شخصية، يتعين على العقل أن يقيّم الأضرار والمنافع المترتبة على هذا القرار. ووفقاً لمسكويه، فإن التأثير العقلاني في اتخاذ القرارات الأخلاقية السليمة هو الذي يحول دون إغراء الرغبات المؤقتة، ويجعل الإنسان يتخذ قراراته بناءً على معايير الفضيلة لا المصلحة الذاتية^(٣١).

يقدم مسكويه عدة أمثلة توضح كيفية توجيه العقل للرغبات، مثل مواقف يختبر فيها الإنسان القوة النفسية والعقلية ليميز بين ما هو صحيح وما هو خطأ. ففي هذه الحالات، يرى مسكويه أن الإنسان يجب أن يراعي توازن رغباته ويعتمد على حكم العقل في اتخاذ القرارات. وبهذا، يتحقق

التوازن بين الرغبات والعقل، ويُحقق الإنسان الفضيلة في حياته اليومية^(٣٢).

من أقوال مسكويه: «الفضيلة ليست مجرد معرفة ما هو صحيح، بل القدرة على أن تجعل هذه المعرفة تتحكّم في أفعالك، فلا ينقاد الإنسان لشهواته إلا بعد أن يقوّي عقله عليها»^(٣٣).

أرى أن فلسفة مسكويه تقدّم نموذجاً عقلاًانياً وعميقاً لفهم اتخاذ القرار الأخلاقي، حيث يربط بين الفهم العقلي للأخلاق والقدرة على مواجهة التحديات الحياتية اليومية. من خلال التركيز على دور العقل في توجيه الرغبات، يعزّز مسكويه من أهمية التفكير النقدي في كل قرار أخلاقي، مما يجعل الفضيلة عملية واعية ومدروسة.

الخاتمة

الفضيلة تكمن في الاعتدال بين المبالغة والتقصير. ومن خلال تطبيق هذه الفكرة في حياته اليومية، يمكن للإنسان أن يتجنب الوقوع في الخطأ الأخلاقي ويصل إلى حياة متوازنة قادرة على تحقيق الفضيلة والسعادة. كما أن مسكويه تبنى مفهوم (الخير الأسمى) الذي يتفق مع الرؤية الإسلامية، حيث يشير إلى السعي نحو الكمال الأخلاقي والروحي كهدف نهائي للإنسان. وهذا التوجه يربط الربط بين الفضيلة والعقل والروح والجسد في فكرته الأخلاقية.

لم يقتصر مسكويه على تقديم فكر نظري، بل سعى إلى أن تكون فلسفته الأخلاقية قابلة للتطبيق العملي في الحياة اليومية. فكما بين في فكرته حول ضبط النفس والتحكم في الأهواء، كان يؤمن أن الإنسان يستطيع أن يحقق الفضيلة من خلال تدريب مستمر على تحكم العقل في الانفعالات والرغبات، وفي التأكيد على أن الإنسان ليس مجرد كائن عاطفي، بل كائن عقلائي قادر على اتخاذ قرارات أخلاقية مدروسة وواعية. هذه المعايير الأخلاقية التي قدّمها تتجاوز حدود المفهوم النظري للفضيلة إلى واقع يومي يتطلّب تضحية وجهداً مستمراً.

وفي هذا السياق، تناول مسكويه علاقة الحرية والمسؤولية، حيث اعتقد أن الإنسان يجب أن يكون مسؤولاً عن اختياراته الحرة، ولكن هذه الحرية تأتي مع ضرورة توجيه العقل للأهداف الأخلاقية النبيلة. فالفرد في فلسفة مسكويه ليس مجرد كائن

تعدّ فلسفة مسكويه الأخلاقية من أبرز المساهمات التي أثّرت في الفكر الفلسفي الإسلامي، حيث حاول من خلالها تقديم تفسير عقلائي للأخلاق يتّسم بالتوازن بين العقل والجسد والروح. اعتمد مسكويه في بناء فكرته الأخلاقية على أن العقل هو العنصر الأساس في توجيه السلوك البشري وضبط الرغبات، وهو ما جعله يتبنى مفهوم الفضيلة كحالة عقلية ونفسية، وليس مجرد شعور عاطفي أو ممارسة سلوكية سطحية. وفي هذا السياق، كان مسكويه يؤمن بأن الفضيلة لا تتحقق إلا من خلال تناغم العقل مع الجسد والروح، وأن السعي نحو السعادة الحقيقية يتطلّب تهذيب النفس وتنقية الروح.

لقد استلهم مسكويه العديد من المفاهيم الفلسفية الغربية، مثل (الخير الأسمى) عند أفلاطون وفكرة (الفضيلة الوسطى) عند أرسطو، ولكنه حرص على تكييف هذه المفاهيم بما يتناسب مع السياق الإسلامي. فقد تبنى مسكويه فكراً يعزّز من استخدام العقل في ضبط الرغبات الإنسانية، ويعتبره الأساس في تحقيق التوازن الداخلي بين مختلف الجوانب النفسية والروحية والجسدية للإنسان. هذا الفهم يندرج ضمن سياق فلسفي يعتمد على تربية الإنسان عقلياً وروحياً ليحقق الفضيلة والسعادة.

تأثرت فلسفة مسكويه بفلسفة أرسطو في مفهوم (الفضيلة الوسطى)، حيث اعتقد أن

الأخلاقي الإسلامي في العصور الوسطى.

وبهذا، كان لفلسفة مسكويه الأخلاقية دور محوري في تكوين التصور الأخلاقي في الفلسفة الإسلامية، إذ جمعت بين الحكمة العقلية والروحية والجسدية، مع إعلاء أهمية التربية الذهنية لتوجيه الفرد نحو حياة متوازنة تحقق السعادة والفضيلة.

هوامش البحث

(Endnotes)

- (١) أحمد بن محمد ابن مسكويه، تطهير الأخلاق، تحقيق عادل زكريا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.
- (٢) أحمد بن محمد ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، دار الكتاب العربي، ١٩٩٩، ص ١١٢.
- (٣) أفلاطون، الجمهورية، ترجمة مصطفى صفوان، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣، ص ٤٢.
- (٤) أرسطو، الأخلاق النيقوماخية، ترجمة محمد عاطف، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٧٥.
- (٥) ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق قسطنطين زريق، بيروت، الجامعة الأميركية، ١٩١٧، ص ٢٥.
- (٦) ابن مسكويه، المصدر نفسه، ص ٤١-٤٢.
- (٧) عبد الرحمن أحد، الفلسفة الإسلامية، تطورها وأثرها، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١٢٠.
- (٨) ابن مسكويه، تأديب النفس، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٤٢.
- (٩) أبو نصر الفارابي، الآراء المدنية، دار صادر، بيروت،

حرّ في اتّخاذ أفعاله، بل هو كائن مسؤول، وعليه أن يختار قراراته بناءً على مبادئ عقلية وأخلاقية تعود بالنفع على نفسه وعلى المجتمع. ومن خلال هذا التوازن بين الحرية الشخصية والمسؤولية الأخلاقية، يكون الإنسان قادراً على اتّخاذ قرارات سليمة تُحقّق له الفضيلة والسعادة الحقيقية.

إنّ فلسفة مسكويه تضع الإنسان في موقع المسؤولية عن نفسه، إذ إنّ السعي نحو الفضيلة يتطلب تربية وعناية مستمرة بتطوير العقل والنفس. يؤمن مسكويه أنّ الفضيلة لا تتحقّق بالفطرة، بل هي نتيجة لصراع داخلي طويل مع الأهواء والشهوات، وأنّ الإنسان يجب أن يبذل جهداً حقيقياً في سبيل تحقيق هذا التوازن المستمرّ بين العقل والرغبات. وهكذا، يُنظر إلى الإنسان في فلسفة مسكويه ككائن يتطور من خلال ممارسة الضبط الذاتي واتّخاذ القرارات الأخلاقية الصحيحة.

قدّم مسكويه رؤية متكاملة لمفهوم الفضيلة يركز فيها على العقل كأداة رئيسية لتهذيب النفس وتوجيه الرغبات نحو الخير. كما قدّم فلسفة أخلاقية قابلة للتطبيق اليومي لا تقتصر على التنظير، بل تركز على العملية المستمرة لتحسين الذات وتحقيق التوازن الداخلي. ومن خلال تعليمه أنّ الفضيلة لا تُكتسب إلا من خلال السيطرة على النفس، والتفاعل الواعي مع الواقع المحيط، تأثرت فلسفته بالأفكار الإسلامية والعالمية في آن واحد، ممّا جعلها حجر الزاوية في التطور الفلسفي

- (٢٧) أحمد بن محمد ابن مسكويه، أمل الآمل، دار العلم
للملايين، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١١٢.
- (٢٨) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الكتب
العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٠٧.
- (٢٩) عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق
عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٨.
- (٣٠) رينيه ديكرات، مقال في المنهج، ترجمة أحمد زكي، مكتبة
النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٢، ص ١١٢.
- (٣١) أبو علي ابن سينا، الشفاء، علم النفس، دار إحياء
التراث العربي، بيروت، ١٩٩٣، ص ٥٥.
- (٣٢) جون ستيوارت ميل، عن الحرية، ترجمة مصطفى
غالب، القاهرة، دار الفكر، ٢٠٠٣، ص ٨٨.
- (٣٣) أحمد بن محمد ابن مسكويه، رسالة في الأخلاق، دار
الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٧٨.
- ١٩٦٦، ص ٨٨.
- (١٠) أحمد بن محمد ابن مسكويه، تأديب النفس، مصدر
سابق، ص ٥٥.
- (١١) أحمد بن محمد ابن مسكويه، تطهير الأخلاق، ترجمة
عبد الفتاح علوش، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠،
ص ٣٢.
- (١٢) أفلاطون، مصدر سابق، ص ٤٠.
- (١٣) أرسطو، مصدر سابق، ص ٥٥.
- (١٤) أبو نصر الفارابي، الآراء المدنية، مصدر سابق، ص ٧٥.
- (١٥) عبد الرحمن أحمد، مصدر سابق، ص ١١٨.
- (١٦) أحمد بن محمد ابن مسكويه، الشفاء في علوم الحكمة،
دار الفكر الإسلامي، طهران، ٢٠٠٥، ص ٨٨.
- (١٧) أحمد بن محمد ابن مسكويه، تطهير الأخلاق، دار
المعارف، مصدر سابق، ص ٥٠.
- (١٨) أبو نصر الفارابي، الآراء المدنية، مصدر سابق، ص ٨٣.
- (١٩) أحمد بن محمد ابن مسكويه، تحفة الأخلاق، مصدر
سابق، فصل ٤، ص ١١٢.
- (٢٠) أرسطو، مصدر سابق، ص ٨٠.
- (٢١) أفلاطون، مصدر سابق، ص ٥٥.
- (٢٢) أحمد بن محمد ابن مسكويه، تطهير الأخلاق، دار
المعارف، مصدر سابق، ص ٧٠.
- (٢٣) أحمد بن محمد ابن مسكويه، تحفة الأخلاق، مصدر
سابق، ص ١٣٠.
- (٢٤) أبو نصر الفارابي، المدينة الفاضلة، دار صادر، بيروت،
١٩٧١، ص ١١٢.
- (٢٥) أحمد بن محمد ابن مسكويه، تطهير الأخلاق، ترجمة
عبد الفتاح علوش، مصدر سابق، ص ٣٨.
- (٢٦) أرسطو، الأخلاق النيقوماخية، مصدر سابق، ص ٦٢.

المصادر والمراجع

- للملايين، بيروت، ٢٠٠٦.
- أرسطو، الأخلاق النيقوماخية، ترجمة محمد عاطف، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٥.
- أفلاطون، الجمهورية، ترجمة، مصطفى صفوان، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٧٣.
- جون ستيوارت ميل، عن الحرية، ترجمة مصطفى غالب، دار الفكر، القاهرة، ٢٠٠٣.
- رينيه ديكار، مقال في المنهج، ترجمة أحمد زكي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٢.
- عبد الرحمن أحمد، الفلسفة الإسلامية، تطورها وأثرها، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢.
- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٣.
- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
- أبو علي ابن سينا، الشفاء، علم النفس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٣.
- أبو نصر الفارابي، الآراء المدنية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.
- أبو نصر الفارابي، المدينة الفاضلة، دار صادر، بيروت، ١٩٧١.
- أحمد بن محمد ابن مسكويه، تطهير الأخلاق، تحقيق عادل زكريا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.
- أحمد بن محمد ابن مسكويه، تطهير الأخلاق، ترجمة عبد الفتاح علوش، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠.
- أحمد بن محمد ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق قسطنطين زريق، الجامعة الأميركية، بيروت، ١٩١٧.
- أحمد بن محمد ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٩.
- أحمد بن محمد ابن مسكويه، تأديب النفس، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٩.
- أحمد بن محمد ابن مسكويه، تحفة الأخلاق، دار الفكر الإسلامي، طهران، ٢٠٠٥.
- أحمد بن محمد ابن مسكويه، الشفاء في علوم الحكمة، دار الفكر الإسلامي، طهران، ٢٠٠٥.
- أحمد بن محمد ابن مسكويه، رسالة في الأخلاق، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥.
- أحمد بن محمد ابن مسكويه، أمل الآمل، دار العلم

Ethics in Miskawayh's thought: its origins and philosophical foundations (and the balance between desires and reason as a model)

Asst. Prof. Dr. Ali Jameel Abd AL-Mousawi

Abstract:

Miskawayh's ethical philosophy is one of the most prominent contributions to Islamic philosophical thought, offering a rational explanation of ethics based on the balance between the mind, desires, soul, and body. In his philosophy, the mind is considered the fundamental element that guides human behavior and regulates desires, with virtue being achieved only through this balance. Miskawayh emphasized the pursuit of virtue and happiness, asserting that true happiness can only be attained by controlling desires and purifying the soul from passions. This will be the aim of our paper in addition to his attitude toward freedom and responsibility.

Keywords: Miskawayh's philosophy - Islamic ethics - virtue - reason and desires - inner balance - true happiness - Greek philosophical influence - self-control

